

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

يوكد لنا ذلك يقسم بنفسه «إذ لم يمكن أن يُقسَمَ بما هو أعظمُ منه أقسمَ بنفسه» (عب ٦: ١٣). طبعاً الله صادق وليس بحاجة إلى قسَم، إلا أنه بسبب ضعفنا وعدم إيماننا تنازل ليفهمنا أن مقاصده ثابتة ولا تتغير. يفعل كل هذا ليبرح ثقتنا به. إذا الله لا يكذب لا في الوعد ولا في القسَم وهذه تعزية لكل مؤمن أراد أن يتمسك بالرجاء الموضوع أمامه. فالإنسان المؤمن عندما يحصل على الرجاء يتمسك به،

يتشبث به كمثل إنسان يغرق في البحر عندما يرى قارباً يحاول أن يتمسك به لينجيه. لذلك يقول الرسول: لا تفلتوا من أيديكم هذه النعمة التي أنعم بها الله

عليكم بواسطة يسوع المسيح. هذه النعمة أي نعمة الرجاء ليست بعيدة عنا، فهي في قلوبنا، في متناول أيدينا. ما نرجوه «هو المسيح فيكم رجاء المجد» (كو ١: ٢٧).

أما الوعد المبارك الذي وعد الله به إبراهيم وثبته بالقسَم، فقد تحقق بصعود المسيح ابن الإنسان - رجاء الوعد - إلى السموات ودخوله إلى قدس الأقداس. لذلك أصبح رجاء الوعد محققاً لنا في شخص يسوع المسيح، الجالس عن يمين الله في السماء. أخيراً يختم الرسول بولس الإصحاح

الرجاء

تطرح رسالة الرسول بولس إلى العبرانيين التي تشكل رسالة اليوم (عب ٦: ١٣-٢٠) جزءاً منها، موضوع التمسك بالرجاء والصبر للحصول على مواعيد الله بالخلص. لذلك نرى الرسول بولس يحث المؤمنين على الاهتمام بأمور الإيمان، فيذكرهم بأبائهم العظام الذين بإيمانهم وصبرهم ورثوا

المواعيد التي سمعوا بها وصدقوها وماتوا على الرجاء. إن رجاءهم يتحقق بمجيء المسيح. والرسول بولس يعزّي قلوبهم بالنصيب المعد لهم بقوله ان الله

لن ينسى عملهم وتعبيهم، لكنهم يحتاجون إلى الصبر: «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد» (عب ١٠: ٣٦).

الله لا يحقق المواعيد بسرعة بل يتطلب ذلك وقتاً طويلاً، ليظهر قوته ويرشدنا إلى الإيمان. لذلك على الذين يعيشون في الشدائد أن يصبروا على رجاء تحقيق المواعيد. قد يسأل أحدهم عن الضامن لتحقيق المواعيد. الله نفسه هو الذي يضمن تحقيق مواعيده لنا، ولكي

الرسالة

(عبرانيين ٦: ١٣-٢٠)

يا إخوة إن الله لما وعد إبراهيم إذ لم يمكن أن يقسم بما هو أعظم منه أقسم بنفسه قائلاً لأباركنك بركة وأكثرتك تكثرًا وذاك إذ تأنى نال الموعد وإنما الناس يقسمون بما هو أعظم منهم وتنقضي كل مشاجرة بينهم بالقسَم للتثبيت فلذلك لما شاء الله أن يزيد ورثة الموعد بيانا لعدم تحول عزمه توسط بالقسَم حتى نحصل بأمرين لا يتحولان ولا يمكن أن يخلف الله فيهما على تعزية قوية، نحن الذين التجأنا إلى التمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذي هو لنا كمرساة للنفس أمينة راسخة تدخل إلى داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لنا وقد صار على رتبة ملكيصادق رئيس كهنة إلى الأبد.

الإنجيل

(مرقس ٩: ١٧-٣١)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوع إنسان وسجد له قائلاً يا معلم قد أتيتك بابني به

روح أبكم* وحيثما أخذه يصرعه فيزيد ويصرف بأسنانه ويبيس. وقد سألت تلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا* فأجابه قائلاً أيها الجيل غير المؤمن إلى متى أكون عندكم حتى متى أحتملكم. هلم به إلي* فأتوه به. فلما رآه للوقت صرعه الروح فسقط على الأرض يترنح ويؤيد* فسأل أباه منذ كم من الزمان أصابه هذا* فقال منذ صباه، وكثيراً ما ألقاه في النار وفي المياه ليهلكه. لكن إن استطعت شيئاً فتحنن علينا وأغثنا* فقال له يسوع إن استطعت أن تؤمن فكل شيء مستطاع للمؤمن* فصاح أبو الصبي من ساعته بدموع وقال إنني أؤمن يا سيد. فأغث عدم إيماني* فلما رأى يسوع أن الجمع يتبادرون إليه انتهر الروح النجس قائلاً له أيها الروح الأبكى الأصم أنا أمرك أن اخرج منه ولا تعد تدخل فيه* فصرخ وخبطه كثيراً وخرج منه فصار كالميت حتى قال كثيرون إنه قد مات* فأخذ يسوع بيده وأنهضه فقام* ولما دخل بيتاً سأله تلاميذه على انفراد لماذا لم نستطع نحن أن نخرجه* فقال لهم إن هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلا بالصلاة

بقوله: «الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد» (عب ٦: ١٩-٢٠).

وكما ان السمكة رمز للمسيحية كذلك المرساة رمز للرجاء. لكن السؤال ما هي المرساة؟ عندما تلقى المرساة من المركب في أعماق البحر لا تدعه يذهب إلى هنا وهناك حتى ولو ضربته رياح شديدة، بل تجعله ثابتاً. الإنسان المسيحي يجب أن يكون ثابتاً كالمرساة لا تزعه أية عاصفة. يقول المسيح عنه «هذا بنى بيته على الصخر» (مت ٧: ٢٤). الذين يتعبون من جهادهم يجب أن يثبتوا بالرجاء حتى لا يفرقوا في بحر هذا العالم. إذا كل إنسان بحاجة إلى رجاء حتى في الأمور الدنيوية، في التجارة، في الفلاحة... لو لم يكن الرجاء أمامه، لما استطاع أن يقوم بأي عمل. فكم نحن بحاجة إلى الرجاء في الأمور الروحية؟! واضح ان الرجاء وحده هو الذي يدخل بنا إلى داخل الحجاب أي إلى الله. وقد أوضح الرسول بولس ذلك بقوله: «إن الناموس لم يكمل شيئاً ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله» (عب ٧: ١٩) ودخول يسوع المسيح إلى السموات يعني دخوله إلى عرشه «... أما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» (عب ١: ٨) وإلى أبيه «في بيت أبي منازل كثيرة... أنا أمضي لأعد لكم مكاناً» (يو ١٤: ٢). أخيراً يقول لنا الرسول بولس إن المسيح دخل كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد. أي ان المسيح دخل إلى قدس الأقداس لكي نتبعه ندخل أيضاً لننال البركة والتقديس. المسيح الذي هو ملك البر والسلام جاء ليفتدينا بدمه ويدخلنا إلى قدس

الأقداس إذا آمنا وتمسكنا بالرجاء الموضوع أمامنا. هذا الأمر الذي عبر عنه الرسول بولس بقوله: «فإن لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله، لتتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان... لتتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ١٩-٢٣).

العذراء مريم في الكتاب المقدس وخدمة المديح

إحدى أجمل الخدم الليتورجية التي تقام في موسم الصوم المبارك خدمة «مديح العذراء الذي لا يجلس فيه» وهو مديح مخصص لتكريم والدة الإله العذراء مريم نظراً لأهميتها دورها في تحقيق خلاص البشر، إذ ولد الإله منها.

يتألف هذا المديح من أربع وعشرين بيتاً يبتدئ كل منها بأحد أحرف الأبجدية اليونانية بالتسلسل، وينتهي نصفها بـ«افرحي يا عروساً لا عروس لها»، والنصف الآخر بـ«هلليلويا». هذه الأبيات مقسمة على أسابيع الصوم، يتلى قسم منها مساء كل جمعة، ثم تتلى جميعها في الجمعة الخامسة من الصوم. في كل مديح، يسبق هذه الأبيات ترتيل الأودية التسعة، وكل أودية تتألف من خمس أو ست قطع يفصل بينها اللازمة «أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلصينا».

تحمل خدمة المديح في قسيميها، الأودية والأبيات، صوراً كثيرة من الكتاب المقدس، خاصة العهد القديم، رأى فيها ناظمو هذه الأودية والأبيات رمزاً لوالدة الإله. سوف ندرس في ما يلي عدداً من هذه الصور.

والصوم* ولما خرجوا من هناك اجتازوا في الجليل ولم يُرد أن يدري أحدٌ فإنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن البشر يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث.

تأمل

إذا كان الذين يلزمون الأصوام النقية والصلاة الخاشعة يقدرون بقوة الله على إخراج الشياطين وشفاء الأمراض الرديئة كما قال ربنا، والذين يشتغلون بالأباطيل الدنيوية يسقطون في مهواة الرذيلة فلماذا لا نكون من الأولين؟ اسمعوا قوله مبكراً لأولئك: أيها الجيل الأعوج غير المؤمن. ومعناه أنكم تميلون عن سبيل الصالحات وتتمسكون بالأموال الباطلة وتغتبطون بالشهوات العالمية ولا تؤمنون كما ينبغي فتحرمون سعادة لا يُحدُّ مقدارها. فإذا علمنا أن اللذات تكون سبباً للرذيلة وعلّة للشقاء والهوان فما بالنا نكون طالبين إدراكها وقارعين أبوابها ومتهافتين على تحصيلها وتمسكين بأذيالها؟ وكيف نقع في مهاويها كالعُميان ثم نعود إليها بعد معرفة عواقبها كالمجانين؟... يقول العقلاء

+ العليقة غير المحترقة: «أيتها البتول... إن موسى أدرك في العليقة سر مولدك العظيم» (الأودية ٨)، «يا علة الفرح... افرحي أيتها العليقة غير المحترقة» (الأودية ٦). صورة هذه العليقة الملتهبة وغير المحترقة ترد في العهد القديم (خروج ٣) عندما ظهر الملاك لموسى وهو واقف في وسطها، فنظر موسى «وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق... ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى» (خر ٣: ٤و٢).

الكنيسة رأت في مريم صورة العليقة الملتهبة لأنها حملت في أحشائها نار اللاهوت، الرب يسوع، ولم تحترق، كما أنها بقيت عذراء نقية. نذكر أن قراءة العليقة تقرأ أيضاً في غروب عيد البشارة.

+ السلم السماوي: «افرحي أيتها السلم المصعدة الكل بالنعمة من الأرض إلى السماء» (الأودية ٤)، «افرحي يا سلماً سماويةً بها انحدر الإله، افرحي يا جسراً ناقلاً الذين في الأرض إلى السماء» (البيت ٣). نقرأ في سفر التكوين عن يعقوب الذي «رأى حلماً وإذا سلمٌ منصوبة على الأرض ورأسها يمسُّ السماء، وهذا ملائكة الله صاعدةً ونازلةً عليها. وهوذا الرب واقفٌ عليها» (تك ٢٨: ١٢-١٣). لقد رأت الكنيسة في مريم صورة سلم يعقوب. إنها السلم التي بها نرتقي إلى السماء لأنها وصلت الأرض بالسماء بولادتها يسوع الإله الإنسان مخلص العالم.

+ باب المقدس: «افرحي أيتها الباب وحدك، الذي فيه اجتاز الكلمة وحده» (الأودية ٣)، «افرحي يا باباً للسِّرِّ المكرَّم... افرحي يا من أقرنت بين البتولية والنفاس... افرحي يا مفتاح ملكوت المسيح» (البيت ٥). مريم هي باب المقدس الخارجي المتجه للمشرق الذي رآه حزقيال النبي

والذي يقول عنه الرب انه «يكون مغلقاً لا يُفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إليه إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً» (حز ٤٤: ٢). مريم هي باب الهيكل الموصل التي ولدت الرب وبقيت عذراء قبل الولادة وخلالها وبعدها.

+ الأتون المتقد: «أيتها البتول... إن موسى أدرك في العليقة سر مولدك العظيم، والفتية سبقوا فرسموا ذلك بأجلى بيان، بانتصاهم في وسط النار وعدم احتراقهم» (الأودية ٨)، «افرحي يا من أطفأت أتون الضلالة... افرحي يا من كفت السجود للنار، افرحي يا منجية من سعير الآلام» (بيت ٩).

يتحدث النبي دانيال (إصح ٣) عن الفتية الثلاثة الذين وضعوا بأمر الملك نبوخذنصر في أتون النار لأنهم رفضوا السجود لتماثيل الآلهة الوثنية. لكن الله أرسل ملاكه وأنقذ عبده ولم يصابوا بأذى لأن النار أصبحت مثل الندى. العذراء بمولدها الرب يسوع أطفأت أتون الضلالة وأبعدت البشر عن السجود للأوثان، وبمولدها نجونا جميعاً من سعير نار جهنم، لأن بها صارت إمكانية النجاة من الخطيئة.

+ الجزة المنداة: «افرحي أيتها البتول الجزة المنداة، التي سبق جدعون فعاينها قديماً» (الأودية ٦). عندما أراد جدعون أن يعرف إن كان الله سوف يخلص إسرائيل من المديانيين، سأل الله أن ينزل ندىً على جرة الصوف التي سوف يضعها خارجاً وكان كذلك. «فبكر في الغد وضغط الجرة وعصر طلاً من الجرة ملء قصعة ماء» (قضاة ٦: ٣٨). مريم هي الجزة التي نزل عليها كلمة الله كالندى. مريم هي العلامة لخلاص كل البشر وليس إسرائيل فقط من يد العود الأكبر الشيطان.

عن النساء إذا رأوهن يتكفن أثقال الحَمَل واعتبروا ما يكابده من التعب والخوف والسهر وتمزق الأحشاء وما يجدنه عند الولادة من الآلام التي لا تُطاق والشدائد المزعجة والإشراف على الموت بل ربما مات بعضهن وربما ولدن أولاداً ناقصي الخلقة أو مخالفين للهيئة الوضعية. ثم بسبب الفرح الحاصل لهن بعد الولادة ينسين هذه الأمور كلها ويرجعن إلى التعرض للوقوع في هذه المخاطر. وكذلك نرى الزراعين يصنعون فإنهم أحياناً كثيرة تنزل بهم الآفات وفساد الأثمار وغرق الزراعات ثم يعودون إلى الزراعة طمعاً في تحصيل منافع زراعات أخرى. فإذا كانت هذه أفعال التجار والنساء والفلاحين في احتمال الأتعاب والمصاعب بسبب المنافع الزائلة والأولاد المائتين فما بالناس نحن إذا تعبنا في الصوم والصلاة لأجل سعادة الأبد والنعيم الذي لا يزول نمل متضجرين. وكيف لا نتذكر دائماً أتعاب الرسل وشدائد الأنبياء ومصاعب القديسين والشهداء. فسبيلنا أن نتشبه بهؤلاء القديسين والشهداء المغبوطين لنفوز بملكوت ربنا الذي له المجد إلى الأبد. أمين

القديس يوحنا الذهبي الفم

هناك صور كثيرة أخرى لا مجال للإستفاضة في شرحها. العذراء هي سفينة الخلاص للبشرية من طوفان الخطيئة: «افرحي يا سفينة للذين يؤثرون الخلاص» (البيت ١٧)، كما كانت السفينة في زمن نوح خلاصاً للبشرية من طوفان الماء (تك ٥: ٦-٨). وكما ان لوحتي الشريعة، أي الوصايا العشر، وضعتا في تابوت عهد الله الذي كان يسير أمام الشعب العبراني في ترحاله في صحراء سيناء (خر ٢٥: ١-٢٢)، هكذا العذراء هي التابوت الذي حوى في داخله واضع الشريعة والناموس: «افرحي يا تابوتا مذهباً بالروح» (البيت ٢٣). وكما كان الرب يقتاد الشعب في الصحراء بواسطة السحابة نهاراً والعمود الناري ليلاً (خر ١٣: ٢٠-٢٢) وكان يطعمهم المن، هكذا قادت العذراء المؤمنين نحو أرض الميعاد، نحو الخلاص، وأعطتهم الطعام السماوي الرب يسوع: «افرحي يا عموداً نارياً مرشداً الذين في الظلام، افرحي يا سترًا للعالم أوسع من الغمام، افرحي يا غذاءً بدلاً من المن، افرحي يا خادمة النعيم المقدس. افرحي يا أرض الميعاد، افرحي يا من يدر منها اللبن والعسل» (البيت ١١).

في القديم، أي ما قبل عام ١٤٣٥، تاريخ سقوط القسطنطينية، كانت خدمة المديح تقام يوم عيد البشارة. وهذا جلي من الأبيات التي تتلى، إذ هي تتحدث عن بشارة العذراء وذهابها إلى أليصابات ثم ولادة الطفل يسوع والهرب إلى مصر والعودة. وقد تجوز المقارنة هنا بين العذراء مريم وذهابها إلى أليصابات وبين داود النبي ومجيء تابوت العهد إليه. نقرأ في سفر صموئيل الثاني (إصح ٦) ان داود أراد نقل تابوت العهد (صندوق خشبي يرمز إلى الحضور الإلهي) من بيت

أبيناداب إلى مدينة داود. وفي الطريق كاد التابوت أن يقع عن ظهر العربة إلى الأرض، فتقدم أحدهم ولمسه، فمات مباشرة. خاف داود وقال «كيف يأتي إليّ تابوت الرب» (٢ صمو ٦: ٩)، تماماً كما قالت أليصابات لمريم: «من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ» (لو ١: ٤٣). أبقى داود تابوت العهد ثلاثة أشهر في بيت عوبيد الحثي، ولما رأى ان الرب بارك عوبيد بسبب التابوت عاد ونقله إلى مدينة داود، ووزع خبزاً على كل من كان موجوداً، وصار اسم مدينة داود بيت لحم (بالعبرية) أي بيت الخبز (بالعربية). هكذا أيضاً بقيت العذراء ثلاثة أشهر في بيت أليصابات ثم عادت إلى بيتها في بيت لحم (لو ١: ٥٦).

في الأسبوع المقبل، الخامس من الصوم، نرفع الصلاة إلى والدة الإله أن تتشفع بنا لدى ابنها الرب كي ينعم علينا بخيراته السماوية ويجعلنا مستحقين أن نعاين آلامه وقيامته المجيدة.

عيد بشارة والدة الإله

بمناسبة عيد بشارة سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم يتراأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ٢٤ آذار ٢٠٠٤ وخدمة القديس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٢٥ آذار ٢٠٠٤ في كنيسة بشارة السيدة في الأشرافية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb